# أدب الإيديولوجيا
## مستويات العاطفة وتجاوز الأغراض

د.بلحسين محمد

جامعة تيارت ـ الجزائر

**لقد احتفظ الأدب الشيعي بالموضوعات التقليدية من مدح وهجاء ورثاء، لكن حورها لصالح أجندته السياسية تحويرا امتزج فيه العاطفي بالإيديولوجي ،فأضحى المدح موالاة، والهجاء معارضة،والرثاء تعبئة.إن أدب الشيعة أدب متنوع العواطف ،فهو مدح لآل البيت لكنه على سبيل الدعاية السياسية ،وهو هجاء للخصوم لكنه على سبيل المعارضة السياسية، وهو رثاء للشهداء لكن على سبيل توديع الزعماء والساسة . وهو تنديم للنفس لكن على سبيل الحث لها على استرجاع الحق السياسي الضائع.**

**الكلمات المفتاحية: الأدب – الموضوع – الغرض – المدح – الهجاء- المعارضة – الإيديولوجيا - العاطفة**

**The Ideology Literature**
**The Passion Levels and the Purposes Transcendence**

**Abstract**

Shiite literature has kept the classical subjects like Praise, moaning, satire, but it has diverted them to its political agenda, a diversion that mixes passion with ideology, Praise became an alliance, satire an opposition and the moan an incitement to rebellion. Shiite literature is a varied literature in terms of passions, the praise of Ahl al-Bayt (the people of the house) as political propaganda, is a satire against political opponents, and a groan of martyrs, as a farewell leaders and politicians, regret and self-criticism to recover a lost political right.

**Keywords:** Shiite, praise, moaning, satire, political right

نتخذ من هذه الدراسة في الأدب العربي القديم طريقا إلى تلمس بعض لمحات التطور فيه، خصوصا تلك التي تتعلق بالأغراض التقليدية من مدح وهجاء ورثاء، حيث إن التطور والتجاوز من السمات التي تشغل مؤرخ الأدب كثيرا، فيسعى إلى تفسيرها وتحليلها.

فوقفنا نحن على ملمح من ملامح التجديد التي مست الأغراض التقليدية، وذلك في أدب الشيعة، حيث لاحظنا أن أدباء وشعراء الشيعة احتفظوا ظاهريا بالغرض، ولكن تجاوزوه ضمنيا، كما لاحظنا أن العاطفة في تلويناتها كان لها الدور الأبرز في ذلك، وهو ما نسعى هنا إلى رصده.

1 ـ فرقة الشيعة مفاهيم وتقاسيم: إن الشيعة بإيجاز "هم الذين شايعوا عليًّا ـ رضي الله عنه ـ على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصية، إمَّا جَلِيًّا وإمَّا خَفِيًّا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتَقِيَّةٍ من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر"[1]، هذا ويذكر أرباب الفرق فروعا عدة للشيعة منها:

**أ ـ الكيسانية والمختارية:** الكيسانية "أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، وقيل: تلميذ للسيد محمد بن الحنفية ـ رضي الله عنه ـ، يعتقدون فيه اعتقادا فوق حدِّه ودرجته من إحاطته بالعلوم كلها، واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن، وعلم الآفاق والأنفس، ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل، حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وغير ذلك على رجال، فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول، والرجعة بعد الموت، فمن مقتصر على واحد معتقد أنه لا يموت، ولا يجوز أن يموت حتى يرجع، ومن معتقد حقيقة الإمامة إلى غيره، ثم متحسر عليه متحير فيه، ومن مدع حكم الإمامة، وليس من الشجرة..."[2].

وأما فرقة المختارية فهي من أشهر فروع الكيسانية، وهم"أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكيسانيا، قال بإمامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنهما ـ، وقيل:لا، بل بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكان يدعو الناس إليه، وكان يظهر أنه من رجاله ودعاته، ويذكر علوما مزخرفة بترهاته ينوطها به"[3].

**ب ـ الزيدية:** "أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماما واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما"[4]، ويقول الشهرستاني عن زيد:"وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، فقال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين نائرة الفتنة، وتطييب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريبا، وسيف أمير المؤمنين علي عن دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد،

والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين والتؤدة والتقدم بالسن والسبق في الإسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم...ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه، وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة"[5].

**جـ ـ الإمامية:** "هم القائلون بإمامة علي ـ رضي الله عنه ـ بعد النبي ـ عليه السلام ـ ، نصا ظاهرا وتعيينا صادقا، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين، قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام، حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا، ويسلك كل واحد منهم طريقا لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصا هو المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه، وقد عين عليا ـ رضي الله عنه ـ في مواضع تعريضا، وفي مواضع تصريحا...ثم إن الإمامية تخطت عن هذه الدرجة إلى الوقيعة في كبار الصحابة طعنا وتكفيرا وأقله ظلما وعدوانا"[6].

**د ـ الإسماعيلية:** هم القائلون بأنه "لن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم، إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور، فإذا كان الإمام ظاهرا جاز أن يكون حجته مستورا، وإذا كان الإمام مستورا فلا بد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين...ومن مذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية، ولهم دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان"[7]، ويسمون "الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم: فبالعراق يسمون: الباطنية، والقرامطة، والمزدكية، وبخراسان: التعليمية، والملحدة، وهم يقولون نحن الإسماعيلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم، وهذا الشخص، ثم إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج"[8].

ويقول عبد الرحمن بدوي :"الباطنية لقب عام مشترك تتدرج تحته مذاهب و طوائف عديدة،الصفة المشتركة بينها هي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلا يذهب مذاهب شتى، وقد يصل التباين بينها حد التناقض الخالص،فهو يعني أن النصوص الدينية المقدسة رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكتومة،وأن الطقوس والشعائر، بل والأحكام العملية هي الأخرى رموز وأسرار، وأن عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة التي هي من شأن أهل العلم الحق، علم الباطن"[9].

**2 ـ العاطفة في البنية الفكرية للخطاب الشيعي:** تشكل العاطفة بنية متكاملة الأركان في الخطاب الشيعي فكريه وفنيه، حيث إن حب آل البيت عند الشيعة يتجاوز حدوده إلى التعصب والتقديس، كما تترتب عليه عاطفة حقد وبغض وتبرؤ من كل من ناصب آل البيت العداوة كبني أمية، وعاطفة حزن على القتلى في المعارك، وعاطفة ندم وتحسر على خذلان الحسين رضي الله عنه، وعاطفة شوق لانتظار رجعة الإمام الغائب، يقول أحمد حسن الزيات: "وتلاحقت الفواجع الأموية، فصرع زيد وقتل يحيى، وافتنت المنايا الرواصد في اختلاج بني علي، وهم يقابلون هول الغوائل الظاهرة والباطنة بالشجاعة والصبر والاحتساب، حتى أسفرت حول وجوههم طفاوة من التنزيه والتقديس وتخللت محبتهم قلوب المسلمين، ولا سيما الشيعة، فإن ندمهم على خذلانهم إياهم، و ألمهم لما رأوا من اضطهادهم وأذاهم، رفعا في نفوسهم ذلك الحب حتى أشرفا به على مقام العبادة، ثم ظهر ذلك الحب في صور من العقائد: فقالوا بالوصية، وجعلوا الإمامة من أصول الدين، وحصروها في علي وبنيه، وطعنوا في إمامة الشيخين، ولم يتهيأ لهم السلطان، ولم تسعفهم القدرة، فاعتمدوا على استمالة القلوب وترقيقها بالبكاء والندب، وتصوير الآلام، وإعلان الفضائل..."[10]، ويقول أحمد أمين:"الشيعة يحكمون عاطفة قوية نبيلة، هي عاطفة الحنو على آل بيت رسول الله والعطف عليهم، هي عاطفة حب للرسول تبعها حب لنسله، وأداهم هذا الحب إلى أن يقولوا: حكمنا رسول الله فليحكمنا نسله، وفي هذا جمال العاطفة وإن لم يكن فيه جمال المنطق، وقال خصومهم: إن الحب شيء والحكم شيء..."[11]، لذلك يمكن الاستنتاج بأن العاطفة كانت حاضرة في كل جوانب الخطاب الشيعي.

**3 ـ العاطفة في البنية الفنية للخطاب الشيعي:** لا شك أن العاطفة كما حضرت في تكوين الفكر الشيعي كانت حاضرة في تلوين الفن الشيعي كذلك، يقول أحمد أمين:"في الحق أن حركة التشيع أغنت الأدب العربي إلى حد كبير، وكان الأدب الناتج عنها أدبا غزيرا، وسبب ذلك أن الموقف الذي وقفه الشيعة من طبيعته أن يلهب العاطفة ويهيجها ويثيرها، والعاطفة أكبر دعامة من دعائم الأدب، فإذا أثيرت وهاجت وكان بجانبها سلطان طلق، وبيان ناصع، فهناك الأدب الحي والقول الساحر"[12]، ويقول: "وجاء الشيعة فأغنوا الأدب لا من هذه الناحية العقلية، بل من الناحية السياسية والعاطفية، فظلوا يقولون في الحق وطلبه، والإرث وغصبه، ثم يبكون على حق ضاع، ودم أريق، وحرمات انتهكت، وبيوت دمرت، وجثث صلبت وذريت"[13].

ومنه فأدب الشيعة أدب متنوع العواطف، فهو مدح لآل البيت لكن على سبيل الدعاية السياسية، وهو هجاء للخصوم لكن على سبيل المعارضة السياسية، وهو رثاء للشهداء لكن على سبيل توديع الزعماء والساسة، وهو تنديم للنفس لكن على سبيل الحث لها على استرجاع الحق السياسي الضائع...وهكذا.

أي: أن الأدب الشيعي احتفظ بالموضوعات التقليدية من مدح وهجاء ورثاء لكن حورها لصالح أجندته السياسية تحويرا عجيبا امتزج فيه العاطفي بالأيديولوجي، فأضحى المدح موالاة والهجاء معارضة والرثاء تعبئة، فإذا به يتشكل لون بديع من الفن القولي قد يستعصي تشكيله على غير تلك الروافد، خاصة إذا علمنا أنه صادر عن أدباء وشعراء من الصف الأول في عصورهم كما سبق في تراجمهم، يقول أحمد حسن الزيات:"فاصطبغ شعرهم بالحزن العميق، والرثاء النائح، والمدح المبتهل، والعصبية الحاقدة...بدأ ولاءً صادقا، ومدحا خالصا، وهجاءً مُرًّا، ثم اشتد فصار مفاضلة جريئة، ومعارضة شديدة، ومناقشة فقهية، ودعاية حزبية"[14].

أي أننا يمكن أن نميز في شعر الشيعة مستويين أحدهما ساذج، والآخر مؤدلج، فمن التعبير عن عاطفة الحب الساذجة قول أبي الأسود الدؤلي[15]:

**أحب محمداً حبــاً شديداً وعباساً وحمـــــزة والوَصِيَّا**
**أحبهم لحب اللــــه حتى أجــيء إذا بعثت على هَوَيَّا**
**هوى أعطيته منذ استدارت رحى الإسلام لم يعدل سويا**
**يقول الأرذلون بنـــو قشير طوال الدهـر ما تنسى عليا**
**بنو عـــــم النبي وأقربوه أحب النـــــاس كلهم إليا**
**فإن يك حبهم رشدا أصبه ولست بمخطئ إن كان غيا**

ومن التعبير عن الحب الذي سرعان ما يتحول إلى دعاية سياسية، قول الكميت في هاشمياته[16]:

**طربت وَمَا شوقاً إِلَى الْبيض أطرب وَلَا لعباً مـني وَذُو الشّيب يلْعَب**
**وَلم تلهني دارٌ وَلَا رســـــم منزل وَلم يتطرّبني بنـــــــانٌ مخضّب**
**وَلَا السّانحات البارحـــات عشيّةً أَمَـرَّ سليمُ الْقرن أم مرّ أعضب؟**
**وَلَكِن إِلَى أهــل الْفَضَائِل والنّهى وَخير بني حـــوّاء وَالْخَيْر يطْلب**
**إِلَى النّفـــــر الْبيض الَّذين بحبّهم إِلَى اللــــه فِيمَا نابني أتقــرّب**
**بني هاشمٍ رَهْـــــط النّبيّ وإنّني بهم وَلَهُـــم أرْضى مرَارًا وأغضب**
**بأيّ كتابٍ أم بأيّــــــة سنّةٍ ترى حبّهم عـــاراً عليّ وتحسب**
**وَمَالِي إلاّ آل أَحْمـــــــد شيعةٌ وَمَالِي إلاّ مشعب الحــقّ مشعب**
**وَمــن غَيرهم أرْضى لنَفْسي شيعَة وَمن بعدهمْ لَا مـن أجلّ وأرحب**
**وجــــدنَا لكم فِي آل حَامِيم آيَة تأوّلها منّا تقـــــيٌّ ومعــرب**
**يشيرون بِالْأَيْـــــدِي إليّ وَقَوْلهمْ: أَلا خَــابَ هَذَا والمشيرون خيّب**
**فطائفةٌ قـــــــد أكفرتني بحبّهم وَطَائِفَة قَالُــوا: مسـيءٌ ومذنب**
**يعيبونني مــــــن غيّهم وضلالهم على حبّكم بل يسخرون وأعجب**

وَقَالُوا ترابيّ هَـــــــــــوَاهُ وَدينه بذلك أدعـــــــى فيهم وألقّب

ألم ترني فِي حـــــــــبّ آل محمّدٍ أروح وأغـــــــــدو خَائفًا أترقّب

على أيّ جـــــــــرمٍ أم بأيّة سيرةٍ أعنّـــــــــف فِي تقريظهم وأؤنّب

ثم يتحول التغني بالحب إلى مديح وتقريض وتفضيل، فيقول السيد الحميري[17]:

أقســــــم بالله وآلائه والمرء عما قال مسئول

أن علي بن أبي طالب على الهدى والبر مجبول

وأنه كان الإمام الذي له على الأمــة تفضيل

وقد يأتي المدح في شكل مقارنة لبيان الأحقية الهاشمية، فيقول أيمن بن خزيم[18]:

نَهاركمُ مكابدةٌ وصــــــومٌ وليلكُمُ صــلاةٌ واقتراءُ

أأجعلكم وأقـــواماً سواءً وبينكمُ وبينهمُ الهـــواء

وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأعينهم وأرؤسهم سماء

كما يتحول تعداد صفات الممدوح إلى ذكر لشروط الإمام الحق، فيقول الكميت في هاشمياته:

الحماة الكفاة في الحرب إن لـف ضراما وقودها بضرام

والغيوث الذين إن أمحل الناس فمأوى حواضن الأيتام

غالبيين هاشميين في العـــــــلم ربوا من عطية العلام

وهم الآخذون من ثقة الأمر بتقواهم عرى لا انفصام

فضمن هذه الأبيات صفات العلم والزهد والشجاعة والسخاء وهي شروط الإمام بعد أن يكون هاشميا من أبناء فاطمة لدى الزيدية[19].

وربما تحول المدح إلى مغالاة على طريقة الباطنية، فيضفي الشاعر على الإمام صفات القدسية، بل والألوهية أحيانا، وأمثل من يجسد هذا التحول ابن هانئ الأندلسي، "ومن يرجع إلى ديوانه يجد أكثره في المديح...وإن كنا نلاحظ في مديحه للمعز وقوفًا طويلًا عند صفاته الإمامية، وشعره في هذه الناحية مرجع مهم لمن يبحثون في العقيدة الفاطمية وكل ما كان يؤمن به دعاتهم من صفات عُلْوية في الإمام، إذ كانوا يؤمنون بأنه معصوم وأنه عالم بالظاهر والباطن وأنه يكون شفيعًا لأوليائه يوم القيامة، ولا يزالون به حتى يضعوه فوق البشر ويضفون عليه من القدسية والجلال ما يجعله روحًا من الله، بل ما يجعله سبب الوجود وعلة الحياة، وتكاثر هذه المعاني وما يتصل بها في شعر ابن هانئ كثرة مفرطة كقوله:

وما كُنْهُ هذا النورِ نورِ جبينه ولكنَّ نورَ اللهِ فيه مشاركُ

وقوله:ولله علمٌ ليس يحجبُ دونَكُمْ ولكنَّهُ عن سائرِ الناسِ محجوبُ

وقوله:مؤيـــــدٌ باختيارِ اللهِ يصحبُهُ وليس فيما أراه اللهُ من خَلَلِ

وقد شهدتُ له بالمعجزات كما   شهدت لله بالتوحيدِ والأزل

وقوله:أرى مدحه كالمدح لله إنه  قنوتٌ وتسبيحٌ يحطُّ به الوزْرُ

وقوله:هو علَّةُ الدُّنيا ومن خُلقت له    ولعلةٍ ما كانت الأشياءُ

وقوله:ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ   فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهارُ

وقوله حين نزل المعز بمدينة رقادة بجوار القيروان:

حلّ برقـــادةَ المسيحُ حلَّ بها آدم ونـــوحُ

حلَّ بها الله ذو المعالي وكلُّ شيءٍ سواه ريحُ

فالمعز في رأيه تحل فيه أرواح الأنبياء، بل يحل فيه الله ـ تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ"[20].

وكما كان الشأن في الحب والمدح، كان في الرثاء، فمنه ساذج بكائي حزين، ومنه محمل بالإيديولوجيا الشيعية من تحريض على الثورة والانتقام من القتلة، يقول شوقي ضيف عن شعراء الشيعة:" وقد تحولوا يبكونهم، ويندبونهم بدموع لا ترقأ ولا تجف، وربما كان هذا الطابع أهم ما يميز الشعر الشيعي في هذا العصر، فهو دموع وبكاء وزفرات على الحسين أولا ثم على زيد بن علي وابنه يحيى، زفرات ودموع سخينة من مثل قول سليمان بن قتة يرثي الحسين"[21]:

مررت على أبيـــــات آل محمد   فلم أرها كعهدها يـــوم حلت

وكانوا رجـــــاءا ثم صاروا رزيـــة    لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

ألم تر أن الشمس أضحت مريضة   لفقد حسين والبـــلاد اقشعرت

وقد أعولت تبكي السماء لفقده  وأنجمها ناحـــت عليه وصلت

وقول السيد الحميري[22]:

امرر على جدث الحسيــــن فقل لأعظمه الزكيه

آ أعظما لا زلت من  وطفاء ساكبة رويـــه؟

وإذا مـــــررت بقبره  فأطل به وقف المطيه

وابك المطهر للمطـــــــــهر والمطهرة النقيه

كبكـاء معولة أتت  يوما لواحـــدها المنيه

وعن تحول الرثاء إلى شحن ثوري يقول شوقي ضيف:"ولم يكونوا يرثونه ويبكونه فقط، إذ كان كثير منهم يضيف إلى رثائه وبكائه تحريضا على الأخذ بثأره وثأر من دافعوا عنه من رفاقه، وهو تحريض يتحول إلى رغبة شديدة في سفك الدماء، حتى يغسل الشيعة عنهم عار القعود عن نصرته. ويتحول ذلك عند طائفة منهم إلى ما يمكن أن نسميه غريزة الدم المسفوح"[23]، ثم يسوق هذه الأبيات شاهدا لذلك[24]:

ليبك حسينا كلما ذر شــــارق وعند غسوق الليل من كان باكيا

ويا ليتني إذ كـــان كنت شهدته فضاربت عنــه الشانئين الأعاديا

ودافعت عنه ما استطعت مجاهدا وأعملت سيفي فيهم وسنـــانيا

ويرثي المفضل المطلبي زيد بن علي فيضمن رثاءه تهديدا شديدا لبني أمية، قائلا25:

ألا يا عين لا ترقي وجـودي بدمعك ليس ذا حين الجمـود

وكيف تظـنّ بالعبرات عيني وتطمع بعد زيد في الهجـــود

وكيف لهـــا الرقاد ولم تراء جياد الخيل تعدوا بالأســـود

بأيديهم صفــائح مرهفا تصوارم أخلصت من عهد هود

بها نسقي النفوس إذا التقينا ونقتل كل جبّــــار عنيد

ونحكم في بني الحكم العوالي ونجعلهم بها مثـــل الحصيد

واشتهر عن الشيعة رثاء الرأس، أي رأس الحسين، يقول دعبل الخزاعي26:

رأسُ ابنِ بنتِ محمدٍ ووصيهِ يا للرجال على قنــاةٍ يرفعُ

والمسلمونَ بمنــظرٍ وبمسمعٍ لا جازعٌ مِن ذَا ولا مُتَخَشِّعُ

ومما صاحب الرثاء من العواطف عاطفة الندم على الخذلان، التي تكونت بسببها حركة شيعية تدعى التوابين، أخذت على نفسها الثأر للحسين ـ رضي الله عنه ـ، فيقول قائلهم27:

ويا ندمي أن لا أكون نصرته ألا كـل نفس لا تسدد نادمه

وإني لأني لم أكـن من حماته لذو حسرة ما إن تفارق لازمه

ومن غير ريب أن عاطفة الندم على الخذلان كانت في الشيعة أكثر من غيرهم، لكثرة ما خذلوا من أئمتهم الثائرين، حتى غدا الخذلان سمة لاصقة بهم، وإسلامهم لأئمتهم للأعداء تهمة يرددها خصومهم، والقارئ لتاريخ ثورات الشيعة لا يجد عناء في التحقق من ذلك، فقد تردد على كل لسان قول محمد بن داود العباسي:"إنَّ خارجهم مقتول، وقائمهم مخذول وليس لهم في الأمر نصيب"28

وعلى هذا الشحن العقدي سار الهجاء الشيعي، معارضة سياسية في صورة سب ولعن وتكفير لغاصبي الخلافة وقاتلي الأئمة، وجميع من يسمون بالنواصب،فيقول أحدهم29:

أَغدُو إلى عُصْبة صَمَّتْ مسامِعُهم عن الهُـدَى بين زِنْدِيق ومأْفُونِ

لا يذكُـــرون عَلِيّاً في مَشاهِدِهم ولا بَنِيه بَني البيـــضِ المَيامِين

اللـــــــهُ يعْلَم أَني لا أُحِبُّهمُ كما هُـــــمُ بِيَقِينٍ لا يُحِبُّوني

لو يَسْتَطيعون عن ذكريْ أبا حَسَن وفَضْله قَطَّعُـــوني بالسَّكَاكِينِ

ولستُ أترُك تَفْضِيلي له أَبـــــداً حَتى المَمَاتِ عَلَى رَغْم الملاعين

ويقول الكميت30:

فقُلْ لبني أُميَّةَ حيْثُ حَلُّوا وإنْ خِفْتَ المُهَنَّد والقَطِيعا

ألا أف لدهــر كنت فيه هــدانا طائعا لكم مطيعا

أجــاعَ اللهُ مَنْ أشبعتموه وأشبعَ مَــنْ بجَوْركمُ أُجِيعَا

بمرْضــيّ السياسةِ هاشميٍّ يكـــونُ حَياً لأُمَّتِهِ رَبِيعَا

ويقول منصور النمري:

شـــاءٌ من الناس راتع هامل يعللون النفــوس بالباطل

تقتل ذرية النبي ويرجـــــــــــون جنان الخلود للقاتل

ويلك يا قاتـــل الحسين لقد بؤت بحمل ينـوء بالحامل

ما الشك عندي في حال قاتله لكنني قد اشك في الخاذل

دينكم جفوة النبي وما الجـــــــــافي لآل النبي كالواصل

ثم يبين مظلومية الزهراء في قضية الميراث مع الشيخين، ويدعو إلى الانتقام لها فيقول31:

مظلومة والنبي والـدها تدير أرجـاء مقلة حافل

ألا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل

الخلاصة من كل هذا أن أدب الشيعة ظهر في قوالب الشعر التقليدية لكنه لم يكن متسقا مع تقاليدها تماما، بل كان يتجه اتجاها مختلفا، يجعلنا مخطئين لو قمنا بتوصيفه على أساس الأغراض، فارضا توصيفا مغايرا من قبيل الأدب المذهبي، وهو الأدب الذي يعنى بنصرة مقولات الفرقة وآرائها، ونلمس في أدب الشيعة ثلاثة أشكال منه: هي أدب العقيدة والرأي، وأدب السياسة، وأدب الثورة.

## مراجع البحث وإحالاته:

1الشهرستاني: الملل والنحل،تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ج1، ص 169.

2المصدر نفسه، ج1، ص 170.

3نفسه، ج1، ص 171.

4نفسه، ج1، ص 179.

5نفسه، ج1، ص 180، 181.

6نفسه، ج1، ص 189 إلى 193.

7نفسه، ج1، ص 227 ، 228.

8نفسه، ج1، ص 228، 229.

9عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، 1997، ص 751.

10أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط26، ص 131.
11أحمد أمين: ضحى الإسلام،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، ج3، ص 299.
12المرجع نفسه، ج3، ص300.
13نفسه: ج3، ص 315.
14أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص 131، 132.
15ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997، ج3، ص152.
16ينظر: عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997، ج4، ص 313.
17ينظر: ابن أبي الحديد، الفلك الدائر على المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ص64.
18ينظر: أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، ج1، ص 26.
19ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، ط 6، ص 327، 328.
20شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، ط12، ص 420.
21شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي ، ص 315، 316.
22ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط2، ج7، ص 260.
23شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص 316.
24المرجع نفسه، ص 316.
25نفسه، ص 316، 317.
26ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج3، ص 312.
27ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص 316.
28مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، ص 200.
29أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج19، ص 90.
30ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج3، ص 306، 307.
31ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط16، ص316، 317.